حواديت من بلاد فارس

عاشقان من مصر وإيـران

عبيـر صلاح

حواديت من بلاد فارس / (١) عاشقان من مصر وإيـــران

عبيـــر صــلاح

الطبعة الأولى ، ٢٠١٠

OKTOB.NET

دار اكتب للنشر والتوزيـــع

القاهرة ، ١٠ش عبد الهادي الطحان ، المرج

موبايــل : ٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المديـــر العام :

يـــحيـــي هاشم

تصميـــم الغلاف :

عبد الرحمن حافظ

تدقيـــق لغوي :

سارة سرحان

رقم الإيـــداع : ٢٠١٠/١٤٨٣٩

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ٠٥٤- ٤

حواديت من بلاد فارس

(١)

عاشقان من مصر وإيـران

عبيـر صلاح

الطبعة الأولى

٢٠١٠



دار اكتب للنشر والتوزيـع

إهداء

إلى رجل قرأت في صمته أن الإنسان بلا هدف نبيل يعيش ويموت من أجله، هو إنسان بلا كرامة، إلى السيد حجة الله جودكي...

كلمة

لطالما حلمت أن أكتب لمرحلة عمريـــة أعتبرها نصف الحيــاة، حلمت أن أكتب لشباب السنة الأولى من الجامعة، لقد درّست اللغة الفارسيـــة في جامعة القاهرة لمدة ثلاث سنوات، وشعرت بصدق أن هذه السن هي أكثر سن يـــشعر فيها الشاب بالحيــويــة، والإقبال على الحيــاة، وكما أن الطفل في صغره يـــتعلم من محيـــطه الكلام والحركة؛ فالشاب في هذه السن يتعلم من محيطه كيف يخرج إلى الحياة العمليـــة؛ وهنا تكمن المسؤولية...

في هذه السن يكون الشاب كالوعاء الفارغ، تخلّص أخيرًا من مرحلة الثانويـــة العامة بما فيها من أعباء نفسية، وعقليـــة، وجسدية، ويشعر أن عليه - الآن - أن يعيش، فيأخذ متعطشًا من كل ما يراه، ويسمعه، ويملأ وعاءه، يؤمن بعنف، ويهجر بعنف، يعشق باستماتة، ويكره بلا هوادة، يقرر أن يكون مواطنًا صالحًا، أو يعلن العصيان إلى أن يقضي الله أمرًا...

أعشق هذه السن، لأنني أعشق الحياة...

عبير صلاح

مقدمة:

اخترت للعدد الأول من سلسلة (حواديت من بلاد فارس)، قصة عشق يصعب أن تتكرر في زماننا،عاشقان من بلدين وثقافتين مختلفتين،لكنهما من أقدم،وأعرق الحضارات والثقافات،مصر وإيران..بلدان عندما تقرأ عنهما بين صفحات الكتب، يهتز فؤادك،وتتمنى لو أنك عشت فيهما كل العصور، حكمة لا تنضب، فن يذوب أمامه الحجر، بطولات ترتعد لذكرها الأبدان.

بطل هذه القصة شخصية تاريخية،هو ملك من ملوك إيران، من الأسرة الكيانية،ودون الدخول في تفاصيل دقيقة يعلمها المتخصصون، فإن هناك آراء كثيرة ترى أن هذه الأسرة هي نفسها الأسرة (الهخامانشية)، التي أسست في مصر القديمة الأسرة السابعة والعشرين.

من الشائع في كتب التاريخ أن عصور مصر القديمة تقسم على هذا النحو:

١- *عصور ما قبل التاريخ.*

٢- *بداية العصور التاريخية*: ويعرف بعصر بداية الأسرات، وقد بدأ هذا العصر تقريبًا في القرن الثاني

والثلاثين ق.م، وامتد حتى عام ٢٧٨٠ ق.م، وشهد حكم الأسرتين الأولى والثانية.

٣- *عصور الدولة القديمة:* بدأت تقريبًا في القرن الثامن والعشرين ق.م، حتى أواخر القرن الثالث والعشرين ق.م، وشهدت حكم الأسرات من الثالثة حتى السادسة.

٤- *عصر اللامركزية الأولى:* امتد من أعقاب نهاية الأسرة الثالثة، وحتى نهاية الأسرة العاشرة في أواسط القرن الواحد والعشرين ق.م.

٥- *عصور الدولة الوسطى:* استمرت نحو ثلاثة قرون، ابتداء من عصر الأسرة الحادية عشرة حتى أوائل عصر الأسرة الثالثة عشرة في أوائل القرن الثامن عشر ق.م.

٦- *عصر اللامركزية الثانية*: امتد فيما بين أواخر عصر الأسرة الثالثة عشرة وأواخر عصر الأسرة السابعة عشرة، وشغلت أغلب أيامه محنة الهكسوس، وانتهى في أوائل القرن السادس عشر ق.م.

٧- *عصور الدولة الحديثة:* امتدت من بداية عصر الأسرة الثامنة عشرة تقريبًا عام ١٥٧٥ ق.م، وانتهت

بنهاية عصر الأسرة الحادية والعشرين خلال القرن العاشر ق.م.

٨- *العصور المتأخرة*: كان هذا العصر فصل الختام في التاريخ الفرعوني؛ حيث تعرضت مصر منذ حكم الأسرة الحادية والعشرين وحتى الأسرة الثامنة والعشرين لاحتلال كل من الآشوريين عام ٦٧٠ ق.م، ثم الفرس عام ٥٢٥ ق.م، حتى انتهى حكم الفراعنة مع الأسرة ال٣٠، ودخول الإسكندر الأكبر مصر.

أي إن مصر القديمة حكمها ثلاثون أسرة، وكانت الأسرة السابعة والعشرون أسرة فارسية، أسسها الملك الفارسي قمبيز، وهو ثاني ملوك الدولة (المخامانشية) الإيرانية، وقد تعاقب على حكم مصر خمسة ملوك من هذه الأسرة هم:

١- قمبيز (كمبوجية ٥٢٥ – ٥٢٢ ق.م).

٢- دارا الأول (داريوش الأول ٥٢١ – ٤٨٦ ق.م).

٣- إكزركزس (خشيارشا ٤٨٦-٤٦٦ ق.م).

٤- إرتكزركرس (أردشير درازدست ٤٦٥-٤٢٤ ق.م).

٥- دارا الثاني (داريوش الثاني ٤٢٤-٤٠٤ ق.م).

وكما ذكرنا أن هناك آراء تؤكد أن الدولة الكيانية هي نفسها الدولة (الهخامانشية)، وليس هذا ببعيد رغم اختلاف الأسماء؛ فهذه سمة واضحة في التاريخ، فحتى أكثر الأسماء شهرة في التاريخ نجدها مختلفة اختلافًا كبيرًا على حسب ثقافة المؤرخ الذي دون هذه الأسماء والأحداث؛ فنجد أن قمبيز الذي دخل مصر عام ٥٢٥ ق.م؛ يذكر في كتب أخرى باسم (كمبوجيه)، ونبينا يوسف (عليه السلام) يذكر بالمصرية القديمة (يوزرسيف)، ونبينا يحيى (عليه السلام) هو (يوحنا)... وهكذا.

لقد ركزت على هذه النقطة لأنني - شخصيا - أجد متعة كبيرة في قراءة القصص التي يكون فيها جانب تاريخي، فبجانب المتعة الفطرية التي يجدها الإنسان في الاستماع إلى القصص؛ يمكن - أيضًا - أن يحلل القصص التي لها جانب تاريخي، ويستخلص منها العبر، فهُوية الإنسان لا تتشكل بعمق إلا إذا تشبع بمعرفة تاريخه وحضارته، تمامًا كمن يرغب في اتخاذ قرار يخص مستقبله؛ إذا جردته من خبراته السابقة، ونزعته من بين كل من يعرفهم ويعرفونه؛ فأي قرار تنتظره منه؟ إن الإنسان مميز عن باقي المخلوقات؛ لأنه استطاع أن يحفظ تاريخه، وإلا لعاش ومات كالبهائم للأكل، والشرب، والمتع ثم الموت.

أما عن هذه القصة فهي عبارة عن ترجمة لجزء من شاهنامه؛ بعنوان (بهمن نامه)، والـ(شاهنامه) في اللغة الفارسية تعني

كتاب الملك، وهي عبارة عن مجموعة من الأشعار تقص السيرة الذاتية لملك من الملوك، أو لعدة ملوك.

أشهر شاهنامه في التاريخ الإيراني، هي الـ(شاهنامه) التي كتبها الفردوسي (أبو القاسم منصور)، وقد جمع فيها تاريخ إيران القديم، وسجل عادات وتقاليد وثقافة الشعب الإيراني بدقة جعلت من الـ(شاهنامه) مرجعًا مهمًّا لكل من يدرس تاريخ وحضارة الشعوب الفارسية.

نظم الشاعر (سعيد بن أبي الخير) شاهنامه بعنوان (بهمن نامه)؛ أي كتاب الملك (بهمن)، على غرار (شاهنامه) الفردوسي، وسجل فيها قصة الملك (بهمن)، وكان ذلك في القرن الخامس الهجري، حيث كان السلاجقة هم من يحكمون إيران.

أما الملك (بهمن) فهو (بهمن بن اسفنديار) من ملوك الأسرة الكيانية، تولى عرش إيران بعد الملك (گشتاسب) وعرف في التاريخ القديم باسم (دارا الأول)، أو (أردشير درازدست).

والأسرة الكيانية هي؛ ثاني أسرة حكمت إيران، وملوك الأسرة الكيانية هم:

١ - كيـــقباد.

٢ - كاووس بن كيـــقباد.

٣ - كيـــخسرو بن سيـــاويـــش.

٤ - لهراسب.

٥ - گشتاسب بن لهراسب.

٦ - بهمن بن اسفنديـــار.

٧ - هماي ابنة بهمن.

٨ - داراب ابنة بهمن.

٩ - دارا بن داراب.

ومما يحسب للشعب الإيرانيـــ استماتته في الحفاظ على هُويته، فهو لم ينقطع أبدًا عن تاريخه القديم، حتى أسماؤهم اليوم، كثيرًا ما نجدها تخلد ذكرى الآباء،والأجداد مثل (بهمن)، (رستم)، (داريوش)، (ساسان)... وغيرها.

هذا الجزء الذي بين أيدينا من (بهمن نامه) - أي كتاب الملك (بهمن)،والذي يحكي لنا قصة هذا الملك - يتحدث عن فترة من حياة هذا الملك، جاء فيها إلى مصر هاربًا، بعدما

تعرض من قبل المقربين إليه لمحاولة قتل فاشلة، فوقعت بينه وبين ابنة ملك مصر قصة حب انتهت بالزواج الملكي.

ومما يحسب للشاعر (سعيد بن أبي الخير)، أنه جمع في هذه الـ(شاهنامه) بين هذين الاسمين؛ لأن الأيام تمر،والصراعات تخبو،والأحقاد تموت،وتظل الآداب والكلمات تَحمِلُ للأجيال - جيلًا بعد جيل - رسائل الحب والتسامح والتقارب؛ فها نحن اليوم - ورغم كل ما نسمعه ونراه على الساحة السياسية - نقرأ في قصة كُتِبَتْ منذ أكثر من ألف عام عن ثقافتين وحضارتين، جمعهما الحب بين ملكين من المفترض أنهما عاشا منذ أكثر من ألفي عام.

دخول الملك (بهمن) مصر

ظل الملك (بهمن) يقطع الطريق متجهًا إلى مصر لمدة شهرين كاملين لم يسترح فيهما مطلقًا، ولا حتى يوم واحد، وعندما وصل إلى مصر؛ اتخذ من حجرة في السوق مسكنًا له، كانت حجرة بسيطة لا يمتلك فيها سوى حصيرًا بسيطًا، وانقضى عليه وقت عصيب لم يكن يملك فيه قوت يومه.

وذات يوم خرج (پارس) خادم الملك (بهمن) إلى السوق في طلب الطعام، فرأى السوق وكأن قيامته قد قامت.. الجميع يسرع في إغلاق الدكاكين، بينما يتناقلون خبرًا فيما بينهم، فسأل (پارس) أحدهم: أيها العاقل لماذا تغلقون الدكاكين هكذا؟ أنا أرى الناس مهرولين، أمن الممكن أن تخبرني ماذا حدث؟ فأجابه الرجل: أليس لديك خبر عما يحدث؟ أغريب أنت عن هذا البلد؟ إنه رفيقنا، وشريعتنا، ومليكنا (نصر الحارث)، إن جيشه يزيد عن المائة ألف، كلهم من حاملي الرماح، والخناجر، قلوبنا

جميـــعًا رهن إشارته، فهو الحكيـــم الذي نهتدي برأيـــــه في مواجهة أعدائنا.. له ابنة كالملاك، لا ترى في جمالها مطلقًـــا.. عندما تضحك؛ تظهر أسنانها وكأنها نجوم تنثر ضيــــاءها في المكان، وحيـــثما ذهبت؛ تنيـــر الدنيـــا بوجهها القمـــري، وهي رغم جمالها فارسة، تمتطي جوادها في هذا الوقت من كل عام، وتلعب الكرة والصولجان، يـــطوف معهـــا الجيـــــش بالرماح دون كلل أو ملل، فكيـــف يـــشعر أحد بالمشقة مع امرأة بهذه الصفات، اسمها (هماي)، وجمالها عنوان على حـــسن طباعها، ستخرج من هذه الناحيـــة لثلاثة أيـــام، وقد حـــار العالم من هذا الحسن، فاليـــوم يـــومها، فهي الربيـــع حـــسن الوجنتيـــن.

نهض (پارس) وذهب مع أهل المدينة،ودخل الميدان لرؤيـــة هذا القمر، فرأى جيـــشًا لم يـــر مثله قط، فالتزم زاويـــة في الميـــدان، وأخذ يـــتابع الأمر.

رأى خادم الملك وهو يـــنصب لـــه عرشًـــا في الميـــدان، وزيـــنه بأقمشة جميلة من الصيـــن، فبدتِ الأرض بها وكـــأن الربيـــع قد حل عليها فكساها بألوانه المبهجة، جـــاء الملـــك،

وجلس على عرشه، واتخذ الجيـــش أماكنه على مقربـــة مـــن الملك، واتجهت أنظار العامة إلى باب القصر، ذلك الباب العالي الذي يـــلامس السماء، تترقب العيون كلها الملكة الجمليـــة، ففتح خادم الجيـــش الباب، وأفسح الجيـــش الطريـــق أمـــام الملكة، فخرجتِ الملكة ممشوقة القوام، وارتعـــدتِ الأجـــساد لرؤيـــتها، ذهبت تجاه أبيـــها وقالت له: يـــا ملـــك الأرض، ببركتك اليـــوم سوف أُسقطُ مائة فارس عن جواده، وبعـــدها اعتلت فرسها، وانطلقت كالريـــح.

أمسكتِ الملكة (هماي) بالصولجان، وقذفت به الكـــرة، وبدأت في مهاجمة خصمها، فمن عادالها ألها حيـــنما تقـــذف كرقما قماجم خصمها في نفس اللحظة، وقبل أن تسقط الكـــرة على الأرض تكون قد هاجمته مرة أخـــرى، ثم ألقـــت الملكـــة الصولجان، وأمسكت رمحها، وانطلقت بـــه تبـــارز الأبطـــال، وكلما هاجمت بطلًا من الأبطال، أصابت رأسه بسن الـــرمح، فتلقيـــه من على جواده بطعنة واحدة، فتتركه وقمجـــم علـــى آخر، فإذا حل الليـــل تكون قد أسقطت مائة فارس من القواد.

حيـــنما أظلم الليـــل عادت الملكة (هماي) إلى قـــصرها، بعدما ذاع صيـــت مصر المباركة لما أبدته من شجاعة منقطعة

النظيـــر، وعندما عاد (پارس) إلى الملك (بهمن) قال له الملك: لقد شغلتني كثيـــرًا، فلقد أمضيـــت اليـــوم بانتظارك، قل لي لماذا تأخرت هكذا، أم أنك أنت أيضًا ضـــقت بي؟ فأجابـــه (پارس) أيـــها الملك لا تسيئ بي الظن بسبب هذا الحزن الذي امتلكك، دعنا نأكل قليـــلًا من الطعـــام، وبعـــدها ســـأقص عليـــك الأمر، فأكلا معًا، وبعدها قص (پارس) على الملك ما رآه من أمر الملكة (هماي)؛ فتعجب الملك (بهمن) من أمرهـــا، وأشعلت هذه القصة حيـــرته، وطلب الملـــك (بهمـــن) مـــن (پارس) أن يـــصطحبه إلى نفس المكان ليشاهد الملكة (هماي) حتى يـــسَرَّ قلبه قليـــلًا.

حذر (پارس) الملك (بهمن) من الاقتراب من هذه الأمنيـــة خوفًا من أن يـــتعرف عليـــه أحد، ويـــشي به إلى أعدائـــه، فيزداد الأمر تعقيـــدًا، فأجابه الملك (بهمن) قائلًا: أيـــها العاقل من يـــمكنه أن يـــتعرف علي وأنا على هذا الوضع؟ إنني أتمنى الموت جراء ما حدث لي، فاحترق قلب (پارس) مـــن إجابـــة الملك (بهمن)، وأخبره أنه ســـيصطحبه معه إلى الميـــدان تنفيذًا لما أمر به.

عندما طلع النهار ذهب الملك (بهمن) ومعـــه (پـــارس) إلى الميـــدان، فإذا بالجيـــش المصري يـــأتي من المدينـــة مـــسرعًا

كالموج، ويـــنصبون عرشًا لملك مصر لا مثيـــل له، ويتلـــون الجو بألوان الحمرة والزرقة والبنفسج من كثرة الرماح والأعلام المختلفة، ومرة أخرى يـــفتح باب القصر لتخرج منه الملكـــة ممشوقة القوام، فيفسح الجيـــش الطريـــق، و يـــدخل الخدم، فتقترب الملكة من والدها، وتقبل الأرض من تحتـــه، ثم ترفـــع رأسها، وتركب جوادها، وتمسك بالكرة والصولجان.

عندما نظر الملك (همن) إلى الملكـــة (همـــاي)، وهـــي في ركابها، وشاهد ما لها من حسن وجمال ومهارة وفروسيـــة سأل (پارس) قائلًا: أهذه الفارسة هي ابنة ملك مصر؟ إنـــني لم أر قط على أرض إيـــران فارسة تمتلـــك هـــذا القـــدر مـــن الشجاعة، فأجابه (پارس) إنك لم تر شيـــئًا بعد أيـــها الملك، سترى الآن الكثيـــر من فنونها حتى يـــبدو لك (رستم) لا قدر له مقارنة بهذه الفارسة.

انطلقت (هماي) إلى ميـــدان القتال، وألقت بكرتها، فلـــم يـــلحق أحد بفرسها، ولم يـــمسك أحد كرتها، فكانت سبع جولات بيـــنها وبيـــن أبطال مصر انتصرت فيهم جميـــعًا، فإذا بها تمسك بالرمح، وتصيـــح كالأســـد المفتـــرس الـــذي يـــنقض بمخالبه الحادة على فريـــسته، وعندما رآها الفرســـان

تعجلوا من أمرهم، وهجموا عليها دفعة واحدة كالبحر، وعندما اشتبكوا معها في معركة، لم تتردد لحظة، وقامت بقتلهم واحدًا تلو الآخر، فقتلت منهم مائة شخص.

ولما رأى الملك (همن) ذلك تعجب، وقال: ألا يوجد في مصر بطل ينكّل بهذه الفارسة ويهزمها؟ فسمع أحد رجال ملك مصر هذا الحديث، ونقله إليه، فتعجب (نصر بن الحارث) ملك مصر من هذا الحديث، وطلب من الرجل أن يذهب هو وعدد من الفرسان، ويحضروا له الملك (همن)؛ فذهبوا إلى الملك (همن) مسرعين، وطلبوا منه أن يسرع معهم إلى الملك (نصر بن الحارث)، فقال له (پارس): ألم أخبرك قبل مجيئنا إلى هنا أن عليك أن تلتزم الصمت، لقد وصل ما قلته إلى مسامع ملك مصر.

ذهب الملك (همن)، ومعه (پارس) إلى ملك مصر، وما أن رآه ملك مصر حتى مدحه، واصطحبه معه إلى الصلاة، ثم قال له: أيها الرجل الغريب حسن الوجه لماذا قلت مثل هذا الكلام؟ لماذا قلت إن مصر ليس بها رجال، وأنها لا يوجد بها فرسان ولا أبطال محاربون؟ فأجابه (همن): أيها الملك أي ذنب اقترفته بهذا الكلام؟ كيف يمكن لامرأة أن يكون لها قلب أسد، وجسد حديدي؟ وكيف يمكن أن يكون رجلاً من هو

أقل من امرأة؟ لقد خُلقَتِ المرأة من جزء من الرجل، وهـي لا تقوى على الأعمال الشاقة، فأجابه ملك مصر: لا تغلّظ القول، إنك غريب هنا فلا تورط نفسك بهذا الكلام، إن لدينـا مئات الآلاف من الفرسان الشجعان، لم يقو أحد على أن يـسقطها عن جوادها، فإن كنت تجد نفسك كفيلًا بأن تفعـل ذلـك؛ فلتفعله في ميـدان المعركة، فأجابه الملك (بهمن) قائلًـا : إن كان ملك مصر ليـس لديـه بطل، فهذا الأمر هيـنٌ علـي، فلتختر لي فرسًا، ولتأمر لي برمح، وبعدها شاهد فنون الرجال.

غضب ملك مصر لانفعال الملك (بهمن)، وقـال لـه: إن الوقت تأخر اليـوم، لنتحدث في هـذا الأمـر يـوم آخـر، وسنسمح لك بكل ما تريـد، ثم فض ملك مـصر المجلـس، وذهب الجميـع.

قضى الملك (بهمن) ليـلته حائرًا، يـفكر في صـنيعه، كيـف كان، وما الذي سيـسفر عنه، وكان (پارس) غاضبًا من الملك (بهمن)، ويـتشاجر معه في كل لحظة قـائلاً: لقـد خرجنا من بحر عميـق مليء بالماء، وسقطنا في بحر آخر مليء بالدماء، إنك لم تستعد طاقتك بعد، فما أصابك من أحـداث جعلك ضعيـفًا لا تقوى على القتال، إنك - بتحديـك هذا - سوف تسقط اسمك في التراب، لقد رأيـت ما فعلته هـذه

الفارسة مع الجيــش، إنك إن هزمها سيــقتص منك الملــك، وإن هزمتك هي ستصبح غذاءً للتماسيــح.

كان لملك مصر (نصر بن الحارث) رأي في هذا الأمر، فلقد فطن إلى أن الملك (همن) رجل محنك، خبير بالقتال، فعنــدما أظلم الليــل أرسل في طلب ابنته، وقص عليــها ما حــدث، قال لها: هناك رجل غريــب خبير بالقتال يريد مبارزتك فماذا ترين؟ فقالت له (هماي): حسنًا أيــها الملك، لترَ غــدًا هــذا المهزار كيف سيــتعفر وجهه في التــراب، قالــت هــذا ثم تكدرت، و لم تقلع عن التفكيــر طوال الليل، وأخذت تحدث نفسها قائلة: من هذا الرجل العنيــد؟ و لماذا يرغب في قتالي؟ إنه ليس ببشر، فإن كان بشرًا، كيــف يــستحداني أنــا في القتال؟

وفي الصباح اجتمع الجيــش في الميدان، و لم يترك للريــح مكانًا للعبور خلاله، وجاء الملك، واعتلى العــرش، ومــا إن تقدمت إليــه الملكة (هماي) حتى انحنت أمامه، وقالت له: يــا صائب الرأي قل لهذا الرجل أن يــأتي، فــأمر الملــك أحــد المحاربين أن يسأل الملك (همن) أمام الجيش إن كان لا يــزال يــتحلى بالشجاعة، ومصرًّا على رأيــه، أم إن ادعاءه كــان باطلًا.

كان الملك (همن)، و(بيلرس) قد ذهبا فجرًا كالأسود إلـــى الميـــدان، فحيـــنما وصل رسـول ملك مصر إليه ليبلغه رسالته، رآه هناك فعاد مهرولًا إلى الملك قائلًا: إنه واقف هنـــاك منـــذ البارحة أيـــها الملك، فأمر ملك مصر بإحضاره، كمـــا أمـــر الجيـــش أن يـــنتبهوا إليـــه جيـــدًا.

عندما وصل الملك (همن) إلى ملك مصر، قبَّل الأرض مـــن أمامه، و عظَّمه، فسأله ملك مصر عن رغبته في القتال، فقال له (همن): لو أن ملك مصر منحني هذه الأمنيـــة، فلا سبيل إلى التراجع، إذن.. لأجرِّب حظيـــ، وأحاول عرض فنون القتال.

قال ملك مصر لـــ (همن): أيـــن حـــصانك؟ إن رجـــلاً مثلك لا يملك حصانًا هو رجل عاجز، فقال له (همن): لقـــد سرقه مني اللصوص على حيـــن غفلة أيـــها الملك، فأمر ملك مصر بإحضـار قائد (الإسطبل)، و عندما وصل، قال له الملـــك سرًّا: أعطه جوادًا معدومًا بطيـــئًا، جوادًا ليـــس له مثيـــل في ضعفه في بلد من البلدان.

نظر قائد (الإسطبل) إلى الملك (همن)فشاهد فيه عظمـــة وشبابًا، عقلًا، وصلابة، فقال لنفسه: إن رجلًا بهـــذا الطهـــر، والجمال يـــجب أن يـــكون له جواداً لايـــقدَّر بثمن؛ فاختار

له جوادًا لا مثيـــل له في هذه الدنيـــا، قفّازًا كالبرق، عـــدّاءً كالبراق، يـــربح السباق أسرع من الريـــح.

ارتدى (همن) أسلحة القتال،واتجه إلى ميـــدان المعركـــة، فقال ملك مصر لقائد (الإسطبل): أيـــــها الرجـــل الـــضال الفاسد، أمرتك أن تعطيـــه جوادًا ضعيـــفًا فأعطيـــته أفـــضل جواد في (الإسطبل)، فقال له قائد (الإسطبل): لاتتسرع، ولا تعترض على حكم القدر، فبحق الإله مالكِ أرواحنا، إنـــني لا أعلم من هو هذا الرجل الغريـــب، فهو ليس حبيبًـــا لي، ولا قريـــبًا، أو صديـــقًا.

دخل (همن) ميدان القتال، ثم عاد مرة أخـــرى إلى ملـــك مصر، فوجده يصلي على ظهر جواده؛ فقال له: يا رفيع المقام، إنك تعرف أنه إذا تقاتل طرفان فمصير كليهما من القـــوة إلى الضعف، ويسقط أحدهما صريعًا، فلا أوقعك الله مكاني أيـــها الملك.

فأجاب ملك مصر قائلًا: أيها الأســـد العبـــوس، اذهـــب، واستجمع قوتك،وقاتل بشجاعة، فهكذا هو قانون الحـــرب، يـــسقط واحد من الطرفين في التراب.

لما رأت الملكة هذا؛ ظنت أن (همن) قد أصـــابه الخـــوف، وصرف نظره عن القتال، فعندما عاد إليـــها قالت له: أيـــــها الشاب، ماذا بك؟ وإلى أين ذهبت مسرعًا بالجواد؟

أجابها (بهمن): لقد ذهبت إلى أبيـــك، فقال لي إنه لا مجال للتراجع، وإنني إذا طرحتك أرضًا فلن يـــكون هذا سببًا لكره بيـــننا، فهذه هي الشريـــعة هنا.

فقالت الملكة: أيها المهزار، لا تكن اذجًا، ولا تحاول الهرب، ألم ترني يـــوم المعركة؟ ماذا تعلـــم عـــني؟ ومـــتى حـــضرت الاحتفال؟ فقال لها (بهمن): لقد رأيـــتك في المعركة، وأُعجبتُ بقتالك، ولكن عندما حضر الأسد فزع الغزال، فلـــم يـــر الأسد من هو أشد خوفًا من الغزال.

رفعت الملكة (هماي) رأسها، وركبت جوادهـــا، وقـــذفت الكرة، وأطلق الملك صيـــحة لجمع الجند، فاضطرب الجيـــش؛ فخطف (بهمن) الكرة من أمام الملكة،وألقاها،وتقدمها، فلـــم يعط لها الفرصة لتضرب بالصولجان، فلقد كان مسيـــطرًا على الكرة بثبات، فأمسكت الملكة رمحًا رأسه من فولاذ إذا ضـــرب حجرَ صوان لنفذ منه، فلمَّا رأى (بهمن) ذلك؛ ذهب سريـــعًا كالدُّخان، وأخذ رمحًا من (پارس)، واشتبك معهـــا في قتـــال استمر لمدة طويـــلة.

وجَّهت الملكة رمحها إلى صدر (بهمن)، فكاد الرمح يـــنفذ من صدره تجاه ظهره، فإذا به يغير هو عليها، وينصب قامتـــه، ويـــفتح صدره، وعندما اقترب منها أمسك برمحها، وأصـــابها

هو برمحه، فسقطتِ الجميـلة مرة واحدة على الأرض، وفـر جوادها تاركها مغمومة بالهزيـمة.

أسرع الخدم إلى ساحة القتال، ووضعوا عباءة على رأسها، وعندما رأى ملك مصر ابنته هكذا؛ اصفرَّ وجهـه كـأوراق الشجر في فصل الخريـف، وقال لرجاله: لقد ذهـب عملنـا هباءً بسبب هذا الرجل الذي لا أصل له، ولا اسـم.. هـذا الرجل فضح أمري، وأظهر فنونًا لاتتناسب مع وضعه، فلو أنه يـمتلك أصلًا شريـفًا مع هذه الفنون، لكـان فنُّـه تاجًـا ذهبيـا على رأسه.

إن الفن، والأصل الشريـف شيء عظيـم القدر، بيـنما الأصل الشريـف بغيـر فنٍّ معيـب مفتضح، والفن أفـضل من الأصل الشريـف، فهو الذي يـخلد في هذه الدنيـا، لقد قال لي حكيـم البلاط: يـا بني، الفن أفضل من الأصـل والنسب الشريـف، إن الأصل والنسب الشريـف كالتراب والريـح، إذا امتزج بهما الفن ما بدا الإنسان فقيـرًا معدومًا، فكل من علَّم أولاده الفن، والكفاح تأصَّل فـيهم، وأصـبح كالكنز تحت الأرض.

وقع الجيـش والمديـنة في فوضى ونزاع بسبب (همـن)، بيـنما ترك هو الجواد وأدوات القتال في ميـدان المعركة وعاد إلى حجرته، وانغمست الملكة (هماي) في حزنها، ولم تـسمح

لأحد أن يـــشاركها هذه اللحظات، تركت الأكل والضحك والتحدث إلى الآخريـــن.. ورافقت الغـــم والحزن،وأخـــذت تسأل نفسها: ماذا يـــمكن أن يـــكون هذا الرجل؟ وكيـــف جاء إلى هنا؟

وفي يـــوم آخر، وصل عشرة فرسان برســـالة إلى الملـــك (نصر بن الحارث) من (لؤلؤ) الذي تآمر على (بهمن) وســـلب منه عرشه، تقول الرسالة: «رسالة من ملك إيـــران، صاحب العرش والتاج والخاتم، ملك الجنوب والشمال، المليء بـــالألم والعداء والحقد.. إلى (نصر الحارث) قائد الشام، الذي لو سَأل عنا؛ لعرف من نكون، لقد وصلنا خبرٌ لا ريب فيه، أن (بهمن) ينعم بالهدوء في أرض مصر، هو الآن لاجئ عندك، ويـــجب عليـــك ألّا تأوي رجلًا مذنبًا، هذا الرجل لديك الآن، فيجب عليك أن تقيده في الحال، وإن لم يكن عندك خبر عنه، فابحث عنه في المديـــنة، وأمسك به وقيـــده، قيـــد رأســـه ويديـــه بالحبال، وأرسله إلى بلاطنا،ولا تنقلب علينا وعلى عهودنا، فإن لم تفعل أقسم بالإله الذي وهبنا الروح، سأرسل لك جيـــشًا قويـــا يخرُّ الجبل من إغارته، وستتحول بلادك إلى دمـــاء مـــن كثرة القتلى، فلتَخَفْ من هذه الرسالة يـــا ملك الشام».

اصفرَّ وجه ملك مصر كالشمس، وغدتِ المديـــنة بأكملها على علم بأمر الملك (بهمن)، فلم يـــبق أحد إلا وعلم بالأمر،

وصاح المنادي في المدينة قائلًا: أيها الرجال الشجعان، ابحثوا عن الغريب يا أهل المدينة، وطوبى لمن وجد (همن).. فدخل السوق من يبحثون عنه، وتناقلت الأحاديث في الأرباع.

علم (پارس) بالأمر، وأسرع إلى الملك (همن) ليخبره، فقال له: انهض أسرع من الموج، فمن الأفضل لنا الهروب، لقد جاء فاجر يحمل رسالة من (لؤلؤ) إلى ملك مصر يخبره أنك هنا في مصر، ويطلب منه أن يجدك، ويقيدك، ويرسلك إليه.

حزن (همن) كثيرًا، وحزم أمتعته على الحصان، وخرج.. وبينما كان يخرج من بوابة المدينة قابل هناك أحد الأغنياء، وكان قادمًا من إيران، وقد اعتاد المجيء إلى مصر بغرض التجارة، وعندما رأى التاجر ملك الملوك (همن) تعرف عليه، وذهب في توّه إلى القصر وأخبر ملك مصر بأمر (همن).

قال التاجر: أيها الملك ذا المقام الرفيع، عندي لك بشرى، إن (همن) كان في مصر مدة طويلة، ولم يكن أحد يعلم ذلك،رأيته للتو عند بوابة المدينة، كان على عجلة من أمره، وكان معه رجل آخر، وعلامته أن أصابع يده خلقها الله ملتصقة ببعضها، فانبسط وجه الملك من السعادة ودخل على

ابنته، فقال لها: يا سيـــدة الحسن، انظري، إنك لا يعيـــبك شيـــء، فذلك الرجل الغريـــب الذي بارزك هو ملـــك، إنـــه فارس العالم الشهيـــر الملك (همن)، وهو من سلالة (كيـــان بن إسفنديـــار)، إنه ملك إيـــران والصيـــن، ليـــس علـــى الأرض رجل مثله، هرب بسبب عبـــد مـــن عبيـــده، وأثـــار الاضطراب في أرض إيـــران.

لقد وصلتني رسالة عن هذا الملك، همت الجميع من قراءتها؛ أن قيـــد هذا الملك، وأرسله إلينـــا، فإن لم تفعل فـــستتحطم بلادك، وأنا اليـــوم سمعت أنه خرج من مدينتنا، واتجه صوب (هامون)، وهو إن خرج من هنا؛ فسيـــحطم (لؤلؤ) المدينـــة كلها.. يـــجب أن تذهبي إليه على رأس جيـــش لاســـتعادته، فلو أمسكتِ به سيـــتحقق أمـــران، سيـــنجلي حزنـــك، وسأسعد أنا.

انبسط قلب (هماي) لما سمعت ذلك، وكأن قلبها قد طـــار من السعادة، فقبّلت الأرض، وتضرعت للإله الخالق الطـــاهر، وقالت: إن خصمي في القتال كان ملكًا، فالذي أذلـــني كـــان بطلًا، ثم ارتدت أسلحة الحرب، وخرجـــت مـــن المديـــنة كالبطل.

كان الفرسان من خلفها كالبحر الهائج، رؤوسهم مليـــئة بالرغبة في الانتقام، وقلوبهم مليـــئة بالرغبة في القتال؛ وعندما

نظر الملك (بهمن) خلفه رأى جيشًا لا يُحصى، فقال لـ(پارس): أيها البطل، لقد انقلب علينا الزمان، فالجيش قادم إلينا، وتتقدمه ابنة الملك، إنها تريد الانتقام، إن لم يكن لنا مكان على هذه الأرض، فلتصعد رُوحنا إذن إلى قصر آخر.

سأفعل اليوم شيئًا أنهي به زمن الأبطال، فمن الأفضل لي أن أُقتَلَ هنا في معركة، لا أن يحملوني إلى (لؤلؤ).. عندها اقتربت (هماي)، وقالت له: يا (بهمن) الحزين، أما زلت لا تدرك موقعك بعد؟ إنّك ملك بلا عرش ولا مدينة ولا بلاط، أما زلت تقاوم الزمان حتى الآن؟

لقد توقّحت علي بسبب ذلك الجواد الضعيف الذي كنت أعتليه، فإن لم يكن كذلك لما حصلت على ما حصلت عليه من نصر، فلتر من الآن فصاعدًا فنوني في القتال، فقال لها (بهمن): إن ابنة الملك يجب عليها أن تحافظ على القوانين، فليس من العدل أن أكون أنا بمفردي، وتكوني أنت بهذا الجيش الضخم، حتى لو كان قلبك مليئًا بالحقد، فلتأمري جيشك إذن بألّا يقتربوا مني مهما حدث بيننا من قتال، ويلتزموا أماكنهم، ولنتقاتل نحن أمام الجميع، فإن وقعتُ في شركك، فافعلي بي ما شئت، وإن هلكت أنت في هذا القتال، فلن أخجل أبدًا من أبيك.

قالت (هماي) فرحة: أيها الفـــارس، لـــن يقتـــرب منـــك جيـــشي، فإن أصابك مني مكروه، ووصل ســـن رمحـــي إلى قلبك، فلتعلم وقتها - أيـــها البطل المحنك - أنه ليـــس لـــك مكان في قتال الأسود، وعندها أمرت جيـــشها أن يـــــتراجع بعيـــدًا عن ساحة القتال.

دخل الفارسان ميـــدان المعركة، وكأنهما الشمس والقمـــر في السماء، ووجها سنانهما تجاه بضهما البعض، كانا مقاتليـــن كأسدين شجاعين،وعندما اعتليا جواديهما؛ انطلـــق (بهمـــن) كالبحر الهائج،ورمى برمح علي حزامهـــا ففـــصل الـــدرع، وسقطت (هماي) على الأرض، فمر عليها (بهمن) ووضع سن رمحه على صدرها، وقال لها: يـــا سيـــئة الأصل والنسب، لقد رغبت في القتال مرة أخرى، فماذا حدث لك أيـــتها الحقودة المغرضة؟ ماذا لو طعنتك الآن بمؤخرة رمحـــي؟ ورفعـــت بـــه جسدك من على الأرض؟ ما دمت لا تقويـــــن علـــى قتـــال الأبطال، فلماذا لا تحتجبين في القصر؟

كانت الملكة الجميلة ترقد تحته، فقالت له بدلال: أيها الملك البطل، سامحني، فأنا الآن أصبحت فريـــستك، ارفع عني الرمح حتى أحبـــك، وأسعد بـــومك.. رفع عنها الملـــك الـــرمح، فجلست، وقالت: أيـــها البطل الشجاع، لقـــد كنـــت قـــد

أقسمت بالله وتقيــدت روحي بهذا القسم أنه طالما بقي مذهبي وشريـعتي، فلن تلامــس رأس رجــل وســادتي إلا رجــل يـقاتلني، ويـلقي برأسي في التراب، وها أنا قــد سـقطت بسببك مرتيــن، سواء في البلاط، أو في ميـدان القتــال،فلم يـبق لي عذر، فسوف أعاهدك عهدًا، ألا يـــكون لي زوج غيــرك، وألا يـرى وجهي سواك، قالت ذلــك وابتـسمت للملك، فأُصيـب (بهمن) بالذهول.

كان الملك يـخاطب نفسه قائلًا: أيـها القلب ألا تخجــل من أن تملك وجهًا كهذا؟ ثم قال للملكة: يــا ابنة الملك، يــا ذائعة الصيــت، حسنٌ أنك اخترتني زوجًا لــك، ولكــن لا يـكن هذا القرار بسبب أنني أملك الحكم عليــك، أو لكــي أُحسنَ معاملتك.. أنهِ الأمر، ولا تبدلي كلامك، وأنا أعدك أني لو استعدت عرش إيــران؛ فسأجعل منك سيــدة عليهــا، وسأمحو سوء تصرفي معك، فلتختاري الوفاء لتحدي الوفــاء، لأن من يــظهرِالجفاء لا يـرى سوى الجفاء.

عندما شعرت (هماي) بأن (بهمن) قد قبل الارتبــاط بهــا أمرته بأن يـبسط فرشًا على الأرض، فصنع مجلسًا على نهــر النيــل، وجلسا معًا، وتعاهدا عليــ الوفاء، تعاهدا علــى ألا يـتخذ أحدهما زوجًا غيــر الآخر، وألا يـخفي أحدهما عن

الآخر سرًّا، كما تعاهدا على ألا يتراجعا في قرارهما حتى وإن لم يقبَل ملك مصر هذا القرار.

عندما أتمَّا كل العهود ظهر ملك مصر من بعيد، جاء ومعه ستة آلاف من الفرسان المقاتلين، اقترب منهما فوجدهما جالسَين، فظنَّ أن ابنته قيدت يد الملك، فقال لها: مبارك عليكَ النصر، فأنا أرى عدوك وقد وقع في الفخ، فقالت له (هماي): أيها الملك، لا تتخذ هذا الملك عدوًا لك، إنه ملك العالم (همن) الشهير، من سلالة كيان، و هو زوجي، لو أردت أن تختار لي زوجًا، فلن تجد من هو أفضل منه.. لقد ظلمه عبد من عبيده، فتغرب بسببه، وأنا مضطرة للانتقام، ولتشكيل جيش من أجله.

تعجَّب ملك مصر من حديث الملكة (هماي)، وفرح كثيرًا، ونزل وقبَّل الأرض أمام (همن)، وعظَّمه، وقال له: أيها الملك، لم يكن لي أمنية في هذه الدنيا سوى هذه الأمنية.. أن يكون في العالم رجل تقي، يكون حاميا في الأوقات العصيبة، ويتفوق على ابني في القتال، والآن يهبني الإله رجلًا مثلك قائدًا، وملكًا، وبطلًا، لذا فأنا أتعهد أمامك أن أبعد العدو عن عرش كيان، وأوقع في الشرك الحاقدين عليك، سأبذل قصارى جهدي لأفعل ذلك، فجسدي، وحياتي فداء لك، ولتهنأ بالهدوء هنا.

قال ملك مصر هذا الكلام، وعاد مع جيــشه، وترك ابنته مع (همن)، فأكل الاثنان شيــئًا معًــا، وأمــضيا النــهار في الحديث، فقص (همن) علــى الملكة (هماي) قصته بأكملــها، فحزنت الملكة كثيرًا لأجله، وطلبت منه العفو، وقالت: أيهــا الملك،لا تحزن،وليسعد قلبك، فسنقتصُّ من الــشخص الــذي أبعدك عن عرشك، وسيصبح أسيرًا لك.

عندما عاد (همن) إلى المديــنة، سمع صيحة عالية.. «أيهــا الناس،لقد حلَّت السعادة، وأدبر الحزن، إن ملك العالم (همن) أصبح صهرًا لملك مصر».. علت أصوات المزاميــر في السوق، والمديــنة، وازدانت المديــنة من أجل الملك الجديد، وظهرت أرض المديــنة وكأنها اجتمعت بالسماء لما زُيــنت بــه مــن ديــباجة الصيــن، وبسط الحريــر الأحمر على امتداد أربعــة أميــال من بوابة المديــنة حتى نهر النيــل،وخرج ثلثمائة ألف جندي ومواطن للاحتفال بالملك الجديد.

زيــنوا مقعدًا ذهبيــا جلست عليــه الملكــة (همــاي)، واختفي الحزن من المديــنة، فلم يــبق حزيــن واحــد مــن صوت المغنيــين، وما نثر من زيــنة، وبدا (همن) في وسط الجيــش وكأنه القمر بيــن النجوم، كان يــحيــط به مائــة فرس أصيــل مزيــنيــن بالذهب يــتقدمهم مائــة غــلام، وبيــنما كان الملك (همن) يــتقدم بيــن الجنــود؛ كــان

الجيش يترجل أمامه، هكذا كان يسير (همن) سعيدًا، فخورًا، متبخترًا حتى وصل إلى القصر.

عندما أشرق يوم جديد، أمر ملك مصر بإحضار رجال الدين، وأن ينثروا الجواهر على رأسَي (همن)، و(هماي)، عقد رجال الدين قرانهما على حسب الرسم، والعادات، وأقيمت الاحتفالات لمدة أسبوع، وفي اليوم الثامن ترك ملك مصر ابنته (هماي) للملك (همن).

كان احتفالًا لم ير مثله شاب، ولا شيخ من آل خسرو، امتلأت الحدائق بالأكل، والشرب، وفرح الجميع لسعادة (همن)، جلس الناس سعداء في مجموعات، ولم يقترب الحزن من قلوبهم لما كان من طرب، وسرور.

وفي الليل عندما رأى (همن) تلك الجميلة؛ شَعر وكأن روحه ردت إلى جسده، فجعل نفسه متكئًا لمحبوبته، وقضى الليل معها، وفي اليوم الثاني غسل (همن) جسده، ورأسه، وبحث عن مكان للصلاة، مدح كثيرًا الإله الطاهر، إله الرياح، والنار، والماء، والتراب، ثم اتجه إلى العرش، واصطف أمامه آلاف من العبيد بأحزمة ذهبية كالأصنام، قبلوا يد الملك، ورأسه واحدًا واحدًا.

دخل شاب طلعته كالبدر، كان اسمه (حارث)، وهو ابن ملك مصر، ووضع أمامه صندوق مجوهرات فضي، وعندما فتح

(همن) باب الصندوق، وجد أربعين جوهرة ليس لها مثيل على هذه الأرض، ثم دخلت والدته، وعظمت الملك (همن) كثيرًا، ثم تعاقب من ورائها عشر جوارٍ حسان لم ير مثلهن أحد، كلٌ منهن معها صندوق به ديباجة من الصين، وضعوه أمامه؛ قبل منهم الملك الهدايا بامتنان، ثم أودعها (پارس).

إن الملك لم يطف بحثًا عن الأموال، فهي تقل مع مرور الأيام، وبمرور الأيام بدأ الحزن والألم يتسللان إلى قلبه، لقد امتلك الجيش، والضباط، والكنوز، وارتاح بدنه، وخفت آلامه.. كان يقضي النهار بأكمله مع الجند، ويذهب بالليل إلى ملكته (هماي)، بينما كان قلبه يمتلئ بالرغبة في الانتقام.

وذات يوم قال (همن) لملك مصر (نصر بن الحارث): يجب أن ننظر إلى الأمور بعمق، فجلسا وفكرا مع بعضهما، ثم طلب الملك تكوين جيش كبير، فكتب كاتب الملك أمرًا بتجميع جيش من كل بلد، على أن يصل عدده إلى مائة وعشرة آلاف من الفرسان، والمشاة، وفتح باب الكنوز القديمة،ومنحها جميعًا للجيش،فانطلق الجيش وراء الملك (همن)، واتجهوا إلى إيران طلبًا للانتقام ممن خانوا

الملك (همن)، كان جيـــشًا قويـــا يـــكاد الجبل يـــتحرك من مكانه من كثرة ما به من دروع، وأغطيــــة رأس، وأغطيــــة جيــــاد.

ذهب (همن) إلى أرضه، وانتقم من أعدائه، واستعاد عرشه من جديـــد بفضل هذا الجيـــش الذي وهبه إيـــاه ملك مصر (نصر بن الحارث).

تعقيب:

يجدر بنا الآن أن نعقّب على هذه القصة، ونتحدث عن بعض النقاط التي ستتيح لنا فرصة لنلقي نظرة على بعض المسائل التي تخص الحضارتين المصرية، والفارسية القديمة.

مما هو شائع في الثقافة الفارسية أن الملك (همن) قد فُتِنَ وتزوج من الملكة (هماي)، ولكن (هماي) في الثقافة الفارسية ليست ابنة ملك مصر كما ذكر (سعيد بن أبي الخير) في (شاهنامه) (همن نامه)؛ بل هي ملكة من ملوك الأسرة الكيانية، وهي ابنة الملك (همن) نفسه، وقد حكمت إيران بعد أبيها، وزوجها في نفس الوقت، وليس هذا بغريب؛ فأن يتزوج الملك من إحدى بنات أسرته كالأم، أو الأخت، أو الابنة هذا شائع عند بعض الحضارات القديمة، للحفاظ على الدم الملكي، وقد عرفت مصر القديمة - أيضًا - هذا النوع من الزواج.

في الحقيقة عندما كنت أترجم هذه القصة، لم أكن مهتمة كثيرًا بالتاريخ، فقد ترجمتها منذ حوالي سنتين، ولكن أثناء ترجمتي لها لفت نظري عرض الشاعر لصورة المرأة المصرية القوية الفتية، امرأة جميلة، فارسة، قوية، تتخذ القرارات، ويخضع لها الرجال، وفي نفس الوقت عندما تحب؛ تهجر كل شيء؛ وتختار - بمحض إرادتها - أن تصبح طوع من أحبت.

هذه الصورة جعلتني أبحث عن المرأة المصرية في التاريخ، كيف عاشت؟ وكيف كانت مكانتها عند الرجال؟ وأول ما فكرت.. حاولت أن أحدد الفترة الزمنية التي يمكن أن تكون هذه المرأة قد عاشت فيها، ورغم أنه من السمات الأساسية لفن الـ(شاهنامه) اختفاء الزمن من الأحداث؛ لكنني حاولت أن أحدد بالتقريب ما هي الفترة الزمنية التي استقى منها الشاعر قصته.

ببساطة شديدة عندما علمت أن البعض يؤيد فكرة أن تكون الأسرة الكيانية هي نفسها الأسرة (الهخامانشية) التي أسس ملكها قمبيز الأسرة السابعة والعشرين في مصر القديمة، استطعت أن أحدد أن صورة هذه المرأة ربما يكون الشاعر (سعيد بن أبي الخير) قد استقاها من وضع المرأة في الحضارة المصرية الفرعونية.

هكذا كنت أفكر؛ ولكن بغض النظر عن أن هذا الشاعر قد اطلع على أخبار مصر القديمة أم لا، فإني وجدت نفسي أهيم عشقًا بالمرأة المصرية في الحضارة المصرية القديمة، تلك المرأة التي نفتقدها نحن الآن في زماننا،زمن التحضر، والتكنولوجيا، والانفتاح على الآخر، فالحقيقة أننا - نحن النساء - الآن؛ لا نسمو إلى أن نكون عبيدًا لدى المرأة المصرية القديمة التي عرفت

كل أشكال الاحترام، والعزة، والكرامة.. ففي الوقت الـذي رسم فيه الفنان المصري القديم المرأة تشارك الرجـل في كافـة الأعمال، والمناسبات، وخلّد ذكراها إلى عصورنا هـذه، بـل وسمّى بعض آلهته بأسماء النساء؛ ما زال الرجل العصري يخجل من ذكر اسم أمه، أو إحدى نساء أسرته أمام الغرباء، لا أعلم من أيـة ثقافة أتت لنا هذه البلايا، إن ديننا دائمًا ما يـذكرنا، بالعذراء مريم، آسيا، فاطمة، عائشة، خديجة... ونحن نـستحي أن نذكر أسماءنا فنقول يا أم فلان، وعلان، فهل هو عيـب أن تُنادَى المرأة باسمها؟ إنما لثقافة يضحك منها الجهل ذاته...

إذا نظرنا إلى المرأة التي عاشت منذ أكثر من ألفـي عـام، نجدها تختار زوجها بنفسها، دون أن يكون لأحد سلطة عليها حتى وإن كان الأب، وليست هذه دعوة للخروج على طاعـة الأب، ولكن ديننا أعطانا حقوقًا تنازلنا عنها، حين طبقها غيرنا من مئات السنين بلا دين، فلماذا وصلنا إلى هذه المرحلة؟

كانت المرأة ترث، وتتاجر بأموالها بنفسها دون وصاية من أحد، و لم يكن للزوج، أو الأخ حق في فرض وصـايته علـى المرأة في الشؤون الماليـة، أو إجراء العقود، والعهود، بينمـا لا نزال نسمع في الألفية الثانيـة بعد الميلاد، في عصر الحريـات وسيادة القانون، أن بعض العائلات تحرم المرأة مـن اقتـسام

الأراضي مع رجال أسرها، بل والبعض يكتفي بتجهيزها للزواج، ويحرمها من باقي ميراثها، أو - على أكثر تقدير - يزوجونها من أحد أفراد الأسرة على أن يدير هو لها ميراثها، والحقيقة.. لاتعليق.

نحن الآن نعتبر أنفسنا قد وصلنا إلى إنجاز في مجال حقوق المرأة، لأن المرأة أصبحت قاضية، وهي الآن يمكنها أن تطالب بالخلع إذا ما استحالت العشرة بينها وبين زوجها، ونفتخر الآن أن عقود الزواج الجديدة قد أضيف إليها بند نادرًا ما تستفيد منه المرأة بشكل عملي؛ وهو بند الشروط الأخرى، حيث يحق لها أن تشترط على زوجها ما شاءت...

إنه حقًا إنجاز إنساني، سبقتنا إليه الحضارة المصرية القديمة منذ المئات من السنين؛ حيث حكمت المرأة البلاد، وكان لها الحق في أن تشترط على زوجها ما شاءت قبل الزواج، كان من حقها اشتراط تطليق نفسها إن وجدت العشرة مع زوجها مستحيلة، كان من حقها أن تشترط عليه عدم الزواج بأخرى، بل وتضع عليه عقوبات إذا أضرها نفسيًا أو جسديًا، كأن تشترط عليه أنه إذا أضرها بكذا؛ فعليه أن يدفع غرامة مالية قدرها كذا، أو أن عليه أن يقضي عقوبة سجن كذا، لا أعلم أي إنجاز نتحدث عنه في هذه الأيام الغبراء، التي لا تجد

فيه المرأة العاقلة الراشدة المثقفة الناجحة فرصة حقيقية للزواج من رجل يحترمها، ويقدرها، فتقع بين رجلين، إما رجل يحبطها ويجبرها على التخلي عن النجاح مقابل أن ينعم عليها ويتزوجها، أو رجل يطلق لها العنان للإبداع شرط أن يكون هو المستفيد الأول من نجاحها، أي يستغل نجاحها لصالحه...

أيتها المرأة المصرية الناجحة إذا أردت أن تعيشي مع رجل يحبك،ويحترمك في الألفية الثانية بعد الميلاد، فلتموتي.

لا أريد أن أطيل أكثر من ذلك، فليس هدفي هو تكرار ما كتب في كتب التاريخ والأدب،ولكن هدفي هو أن ألقي الضوء - أمام الشباب - على مصادرَ قد يجدون فيها ضالتهم، بحثًا عن هوية صادقة يتحلون بها، قبل أن يصيبهم ما أصاب غيرنا من عفن، وجمود في التفكير.